البعد عن الغيبة والنميمة

مواقــف عربيــة

البعد عن الغيبة والنميمة

الغيبة لغة: هي الاسم من الاغتياب وهو مأخوذ من مادّة (غ ي ب) الّتي تدلّ على السّتر، يقول ابن فارس:

"الغين والياء والباء " أصل صحيح يدلّ على تستّر الشّيء عن العيون ثمّ يقاس من ذلك الغيب: ما غاب ممّا لا يعلمه إلاّ الله. ويقال: غابت الشّمس تغيب غيبة وغيوبا وغيبا. وغاب الرّجل عن بلده، وأغابت المرأة فهي مغيبة، إذا غاب بعلها... والغيبة: الوقيعة في النّاس من هذا، لأنّها لا تقال إلاّ في غيبة، وتغيّب مثل غاب، ويتعدّى بالتّضعيف فيقال غيّبته، وهو التّواري في المغيب، واغتابه اغتيابا إذا ذكره بما يكره من العيوب، والاسم الغيبة، فإن كان باطلا فهو الغيبة في بهت.

واصطلاحا: قال الجرجانيّ: الغيبة: ذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه.

وقال المناويّ: الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبته...، قال: ومن أحسن تعاريفها"ذكر العيب بظهر الغيب".

وقال الكفويّ: أن يتكلّم خلف إنسان مستور بكلام هو فيه.

وقال التّهانويّ: الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرت نقصانا في بدنه أو في لبسه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، أو في ولده، أو في ثوبه، أو في داره، أو في دابّته.

قال: ولا تقتصر الغيبة على القول، بل تجري أيضا في الفعل كالحركة والإشارة والكناية، لما ورد عن عائشة رضي الله عنه أنّها أشارت بيدها إلى امرأة أنّها قصيرة فقال ﷺ :"**اغتبتها**-والتّصديق بالغيبة غيبة.

قال ابن حجر: هي ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن الشّخص أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خلقه أو ماله. وقال الرّاغب: هي أن يذكر الإنسان عيب غيره من غير محوج إلى ذكر ذلك.

وقال ابن الأثير: الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه.

وقال ابن التّين: الغيبة ذكر المرء ما يكرهه بظهر الغيب.

أسباب الغيبة وبواعثها:

قال الغزاليّ - رحمه الله -: للغيبة أسباب وبواعث، وفيما يلي خلاصتها:

1 - شفاء المغتاب غيظه بذكر مساوىء من يغتابه.

2 - مجاملة الأقران والرّفاق ومشاركتهم فيما يخوضون فيه من الغيبة.

3 - ظنّ المغتاب في غيره ظنّا سيّئا مدعاة إلى الغيبة.

4 - أن يبرّئ المغتاب نفسه من شيء وينسبه إلى غيره أو يذكر غيره بأنّه مشارك له.

5 - رفع النّفس وتزكيتها بتنقيص الغير.

6 - حسد من يثني عليه النّاس ويذكرونه بخير.

7 - الاستهزاء والسّخرية وتحقير الآخرين.

الفرق بين الغيبة والبهتان والشتم:

قال الجرجانيّ: الغيبة ذكر مساوئ الإنسان التي فيه في غيبة.

والبهتان ذكر مساوئ للإنسان، وهي ليست فيه.

والشّتم: ذكر المساوئ في مواجهة المقول فيه. وإلى هذا ذهب كلّ من المناويّ والكفويّ.

حكم الغيبة:

عدّ الإمام ابن حجر الغيبة من الكبائر وقال:

الّذي دلّت عليه الدّلائل الكثيرة الصّحيحة الظّاهرة أنّها كبيرة: لكنّها تختلف عظما وضدّه بحسب اختلاف مفسدتها. وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عديلة غصب المال، وقتل النّفس بقوله ﷺ :"**كلّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه** -والغصب والقتل كبيرتان إجماعا، فكذا ثلم العرض [1].

(1) الزواجر (371).

علاج الغيبة:

إنّ الغيبة مرض خطير، وداء فتّاك، ومعول هدّام، وسلوك يفرّق بين الأحباب، وبهتان يغطّي على محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شرورا بين المجتمع المسلم، وتقلب موازين العدالة والإنصاف إلى الكذب والجور، وعلاج هذا المرض لا يكون إلاّ بالعلم والعمل، فإذا عرف المغتاب أنّه تعرّض لسخط الله يوم القيامة بإحباط عمله وإعطاء حسناته من يغتابه أو يحمل عنه أوزاره، وأنّه يتعرّض لهجوم من يغتابه في الدّنيا، وقد يسلّطه الله عليه، إذا علم هذا وعمل بمقتضاه من خير فقد وفّق للعلاج.

هل تحل الغيبة في بعض الأحيان؟:

قال النّوويّ - رحمه الله:

اعلم أنّ الغيبة تباح لغرض صحيح شرعيّ لا يمكن الوصول إليه إلاّ بها، وهو ستّة أسباب:

الأوّل: المتظلّم، فيجوز للمظلوم أن يتظلّم إلى السّلطان والقاضي وغيرهما ممّن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثّاني: الاستعانة على تغيير المنكر، وردّ العاصي إلى الصّواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التّوصّل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

الثّالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟

وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقّي، ودفع الظّلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكنّ الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنّه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك، فالتّعيين جائز.

الرّابع: تحذير المسلمين من الشّرّ ونصيحتهم.

وذلك من وجوه:

منها: جرح المجروحين من الرّواة والشّهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور ألاَّ يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنيّة النّصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقّها يتردّد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرّر المتفقّه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النّصيحة، وهذا ممّا يغلط فيه. وقد يحمل المتكلّم بذلك الحسد، ويلبّس الشّيطان عليه ذلك، ويخيّل إليه أنّه نصيحة فليفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إمّا بأن لا يكون صالحا لها، وإمّا بأن يكون فاسقا، أو مغفّلا، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامّة ليزيله، ويولّي من يصلح، أو يعلم ذلك منه، ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغترّ به، وأن يسعى في أن يحثّه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة النّاس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلما، وتولّي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلاّ أن يكون لجوازه سبب آخر ممّا ذكرناه.

السّادس: التّعريف، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب؛ كالأعمش والأعرج والأصمّ، والأعمى؛ والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك؛ ويحرم إطلاقه على جهة النّقص؛ ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستّة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه؛ ودلائلها من الأحاديث الصّحيحة مشهورة [1].

(1) انظر رياض الصالحين (450 - 451)، والزواجر لابن حجر الهيثمي (383 - 384).

وقد قال المولي عز وجل:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢} [الحجرات: ١٢].

وقال عز وجل:{ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨} [النساء: ١٤٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: "**أتدرون ما الغيبة؟**-قالوا: الله ورسوله أعلم. قال:"**ذكرك أخاك بما يكره**-قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال:"**إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته. وإن لم يكن فيه فقد بهتّه**"[1][2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنّا مع النّبيّ ﷺ فارتفعت ريح منتنة فقال رسول الله ﷺ :"**أتدرون ما هذه الرّيح؟ هذه ريح الّذين يغتابون المؤمنين**"[3].

وعن أبي برزة الأسلميّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبّعوا عوراتهم، فإنّه من اتّبع عوراتهم يتّبع الله عورته، ومن يتّبع الله عورته يفضحه في بيته**-[4].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: مرّ النّبيّ ﷺ بقبرين فقال: "**إنّهما ليعذّبان وما يعذّبان في كبير. أمّا أحدهما فيعذّب في البول وأمّا الآخر فيعذّب في الغيبة**-[5].

(1) بهته: أي قلت فيه البهتان وهو الباطل.
(2) مسلم (2589).
(3) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 515) واللفظ له، وقال: رواه أحمد وابن أبي الدنيا ورواة أحمد ثقات، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (10/ 484): سنده صحيح.
(4) أبو داود 4 (4880) واللفظ له وقال الحافظ العراقي في الإحياء (3/ 104): سنده جيد.
(5) أحمد في المسند (5/ 35 - 36)، وابن ماجه (1/ 349) واللفظ له وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (1/ 485): أخرجه أحمد والطبراني بإسناد صحيح.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنّهم ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلا فقالوا: لا يأكل حتّى يطعم [1] ولا يرحل حتّى يرحل له، قال النّبيّ ﷺ :"**اغتبتموه**". فقالوا: يا رسول الله إنّما حدّثنا بما فيه. قال:"**حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه**"[2][3].

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: قلت للنّبيّ ﷺ حسبك من صفيّة كذا وكذا - تعني قصيرة - فقال: "**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**". قالت: وحكيت له إنسانا، فقال:"**ما أحبّ أنّي حكيت إنسانا وأنّ لي كذا وكذا**"[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**لمّا عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الّذين يأكلون لحوم النّاس ويقعون في أعراضهم**"[5].

وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: "**من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النّار يوم القيامة**"[6].

قال عمر رضي الله عنه : عليكم بذكر الله تعالى؛ فإنّه شفاء. وإيّاكم وذكر النّاس فإنّه داء.

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّه مرّ على بغل ميّت فقال لبعض أصحابه: لأن يأكل الرّجل من هذا حتّى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم.

---

(1) أي أنه ضعيف إلى درجة احتياجه إلى مساعد يطعمه، وخادم يوكله، وساق يسقيه، ولا يسافر إلا إذا حمله آخر أو ركب على دابة.

(2) أي كافيك بتعداد أوصاف ثابتة فيه، ولكن يكره ذكرها ويجب سترها، ففيه الترهيب عن ذكر أخيك بما يكره مطلقا.

(3) قال المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 506): رواه الأصبهاني بإسناد حسن.

(4) أبو داود (4875) واللفظ له، والترمذي (2502 - 2503) وقال: حديث صحيح.

(5) أخرجه أحمد في المسند (3/ 224)، وأبو داود (4878) واللفظ له وقال مراجع رياض الصالحين (578): إسناده صحيح.

(6) الترمذي (1931) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن، وقال مراجع رياض الصالحين (579) حديث حسن.

وعنه أيضا: في قوله عز وجل :{وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ} [الحجرات: ١١]. قال: لا يطعن بعضكم على بعض.

وقال الحسن - رحمه الله -:"ذكر الغير ثلاثة: الغيبة، والبهتان، والإفك، وكلّ في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه، والإفك أن تقول ما بلغك.

قال الحسن البصريّ - رحمه الله -: والله للغيبة أسرع في دين الرّجل من الأكلة في الجسد.

وقال أيضا - رحمه الله -: يا بن آدم إنّك لن تصيب حقيقة الإيمان حتّى لا تعيب النّاس بعيب هو فيك، وحتّى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصّة نفسك. وأحبّ العباد إلى الله من كان هكذا.

وروي عن الحسن رضي الله عنه : أنّ رجلا قال له: إنّ فلانا قد اغتابك فبعث إليه رطبا على طبق وقال:"قد بلغني أنّك أهديت إليّ من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإنّي لا أقدر أن أكافئك على التّمام.

وعن ابن سيرين؛ قال:"إنّه ذكر الغيبة فقال: ألم تر إلى جيفة خضراء منتنة.

عن الشّعبيّ - رحمه الله - أنّ العبّاس بن عبد المطّلب قال لابنه عبد الله: يا بنيّ، أرى أمير المؤمنين يدنيك، فاحفظ منّي خصالا ثلاثا: لا تغتب من له سرّ، ولا يسمعنّ منك كذبا، ولا تغتابنّ عنده أحدا.

وعن مجاهد في قوله تعالى: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ قال:"الّذي يأكل لحوم النّاس، واللّمزة: الطّعّان.

عن عبد الله بن المبارك رحمه الله - قال: قال بعضهم في تفسير العزلة: هو أن تكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فخض معهم وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت.

وقال بشّار بن برد:

خير إخوانك المشارك في المرّ :: وأين الشّريك في المرّ أينا

الذي إن شهدت سرّك في الحيّ : وإن غبت كان آذنا وعينا
مثل سّر الياقوت إن مسّه نا :: ر جلاه البلاء فازداد زينا
أنت في معشر إذا غبت عنهم : بدّلوا كلّ ما يزينك شينا
وإذا ما رأوك قالوا جميعا :: أنت من أكرم البرايا علينا
:
::
:
::
:

وقال النّوويّ - رحمه الله -:"اعلم أنّه ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردّها ويزجر قائلها، فإن لم ينزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللّسان، فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممّن له عليه حقّ، أو كان من أهل الفضل والصّلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر.

وقال الغزاليّ - رحمه الله -: كان الصّحابة رضي الله عنه يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين.

قال بعضهم: أدركنا السّلف وهم لا يرون العبادة في الصّوم ولا في الصّلاة، ولكن في الكفّ عن أعراض النّاس.

من مضار الغيبة:

- صاحب الغيبة يعذّب في النّار بأكل النّتن القذر.
- ينال عقاب الله في قبره.
- تذهب أنوار إيمانه وآثار إسلامه.
- لا يغفر له حتّى يعفو عنه المغتاب.
- الغيبة معول هدّام وشرّ مستطير.
- تؤذي وتضرّ وتجلب الخصام والنّفور.
- مرض اجتماعيّ يقطع أواصر المحبّة بين المسلمين.
- دليل على خسّة المغتاب ودناءة نفسه.

ومن المواقف:

سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!!:

- وجلس رجل في مجلس عبد الله بن المبارك فاغتاب أحد المسلمين، فقال له عبد الله بن المبارك: يا أخى هل غزوت الروم؟! قال: لا. قال: هل غزوت فارس؟! قال: لا. فقال عبد الله بن المبارك: سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!!

أنا مع النبي ﷺ وأصحابه بينهم:

- وحدث الحسن بن عيسى بن ماسرحس، قال سمعت عبد الله بن المبارك، وقد قيل له يا أبا عبد الرحمن إنك تكثر القعود في البيت وحدك، فقال ليس أنا وحدي، أنا مع النبي ﷺ وأصحابه بينهم - يعني النظر في الكتب[1].

رضا الناس غاية لا تدرك:

وحدث يونس بن عبد الأعلى الصدفي قال: قال لي الشافعي رضي الله عنه: يا أبا موسى، رضا الناس غاية لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحا، ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه، ودع الناس وما هم فيه.

ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا:

وقال بكر بن منير سمعت أبا عبد الله البخاري يقول أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا قلت صدق رحمه الله ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس وإنصافه فيمن يضعفه فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر ونحو هذا. وقل أن يقول فلان كذاب أو كان يضع الحديث حتى إنه قال إذا قلت فلان في حديثه نظر فهو متهم واه وهذا معنى قوله لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدا وهذا هو والله غاية الورع.

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 368/4.

طالما لفظها الكرام:

اغتاب رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم فقال له قتيبة أمسك أيها الرجل فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام[1].

كلام ... بالقرآن!:

ـ قال عبد الله بن المبارك خرجت حاجاً إلى ببت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت :{ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ } [يس: ٥٨]، قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت:{وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ} [الرعد: ٣٣]، فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدين قالت :{سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا } [الإسراء: ١]، فعلمت أنها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت:{ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا} [مريم: ١٠]، فقلت ما أرى معك طعاماً تأكلين قال :{هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ} [الشعراء: ٧٩]، فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت :{فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا } [النساء: ٤٣]، فقلت لها أن معي طعاماً فهل لك في الأكل قال :{ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ } [البقرة: ١٨٧]، فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت :{وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٞ } [البقرة: ١٥٨]، فقلت قد أبيح لنا الإفطار في السفر قالت :{وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ } [البقرة: ١٨٤]، فقلت لم لا تكلميني كما أكلمك قالت :{ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ } [ق: ١٨]، فقلت قمن أي الناس أنت قالت :{ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ } [الإسراء: ٣٦]، فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت :{ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ } [يوسف: ٩٢]، فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت :{وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ } [البقرة: ١٩٧]، قال

(1) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، 465/1.

فأنخت ناقتي قالت :{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ } [النور: ٣٠]، فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت :{ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } [الشورى: ٣٠]، فقلت لها أبصري حتى أعلقها قالت :{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ } [الأنبياء: ٧٩]، فعلقت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت:{سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾} [الزخرف: ١٣ - ١٤]، قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح فقالت :{ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ} [لقمان: ١٩]، فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر فقالت:{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ} [المزمل: ٢٠]، فقلت لها لقد أوتيت خيراً كثيراً قالت:{وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ } [البقرة: ٢٦٩]، فلما مشيت بها قليلاً قلت ألك زوج قالت :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ } [المائدة: ١٠١]، فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت :{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [الكهف: ٤٦]، فعلمت أن لها أولاداً فقلت وما شأنهم في الحج قالت :{ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾} [النحل: ١٦]، فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت:{وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } [النساء: ١٢٥]،{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا } [النساء: ١٦٤]،{يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ} [مريم: ١٢]، فناديت يا إبراهيم يبا موسى يا يحيى فإذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت :{فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ } [الكهف: ١٩]، فمضى أحدهم فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي وقالت :{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾} [الحاقة: ٢٤]، فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت:{ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: ٢١] [1].

(1) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، 171/1.

أصدق ما يكون الرجل عند الموت:

وقال أحمد بن حفص: دخلت على أبي الحسن يعني إسماعيل والد أبي عبد الله البخاري عند موته فقال لا أعلم من مالي درهما من حرام ولا درهما من شبهة قال أحمد فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك ثم قال أبو عبد الله أصدق ما يكون الرجل عند الموت.

وكان الحسين بن محمد السمرقندي يقول كان محمد بن إسماعيل مخصوصا بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة كان قليل الكلام وكان لا يطمع فيما عند الناس وكان لا يشتغل بأمور الناس كل شغله كان في العلم.

اذكر القطن إذا وضع على عينيك:

وقيل: اغتاب رجل عند معروف، فقال: اذكر القطن إذا وضع على عينيك.

وكلامك يعرض على الله فلا تحترز:

قال: وسمعت حاتماً يقول: إن صاحب خبر يجلس إليك ليكتب كلامك لا حترزت منه، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز.

اغتبت رجلا في هذا الموضع:

- مر داود الطائي رحمه الله تعالى يوما بموضع فوقع مغشيا عليه فحمل إلى منزله فلما أفاق سئل عن ذلك فقال ذكرت أني اغتبت رجلا في هذا الموضع فذكرت مطالبته لي بين يدي الله تعالى [1].

رمي اللسان لا يخطئ:

وقال سفيان الثوري لأن أرمى عدوي بسهمي خير له من أن أرميه بلساني لأن رمي اللسان لا يخطئ ورمى السهم يصيب ويخطئ قال الشاعر

ورب كلام قد جرى من ممازح... فساق إليه سهم حتف معجل[2].

* * *

(1) الصفوري، زهة المجالس ومنتخب النفائس، 1 / 77، 167.
(2) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 95/1.